خارج المبنى

مسرحية من ثلاث حركات

حسن شوّام

الكتاب: خارج المبنى (مسرح)
المؤلف : حسن شوتام
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٥
رقم الإيداع : ١٦٦٠١ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 – 977 – 493 – 197 – 0

الناشر
شمس للنشر و الإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى – المقطم – القاهرة
ت فاكس ٢٧٢٣٨٠٠٤ (٠٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول علي موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

خارج المبنى

مسرحية من ثلاث حركات

حسن شوتام

- **خـارج المبنـى : مسرحية من ثلاث حركات** ..... **ص ٧**

- **أوراق ورديـة : نص مونودرامي من فصل واحد** ..... **ص ٥٩**

مسرحية من ثلاث حركات

▪ الحركة الأولى

سككية

طريقٌ عامٌ واضحُ المعالم، مع حضور قوي ومُكثف للخطوط العمودية التي تَظهر من خلال أحرف منازل وبنايات إسمنتية متباينة الارتفاع وأعمدة كهربائية، يمكن تأثيث الفضاء باعتباره شارعًا تجاريًا بمجسمات مختلفة: حاويات القمامة، طاولات لعرض منتوجات، أصص إسمنتية مربعة الشكل من دون أغراس وغيرها.

فيما يخصُّ الحضور البشري على منصة العرض يُرْجى الحرص على أن تكون حركة المجاميع وتنظيم الممثلين على طول الطريق بشكل منضبط خاصة عند جانبيه، مع الاحتفاظ بتلقائية التوقف أو التحرك أثناء عملية التبضع أو المرور بالشارع.

يبدأ العرض بحركة سككية من اليمين إلى اليسار أو العكس.. مشهد نمطي لشارع يزدحم بالمتسوقين.. موسيقى إعلانية.

صوت خارجي (ثنائي) :

يوم جديد؛ بل يوم عيد أيها السادة والسيدات! من فضلكم اقتربوا كما هؤلاء الناس واكتشفوا شارعنا الرئيس، هلمّوا قبل نفاد البضاعة، تعالَ واكتشف بنفسك الماركات المسجلة، أقبل فأشواقك هنا غير مؤجلة! بالقليل أو الكثير الذي في جيبك اقتنِ السعادة واطرح عنك مسوح الكآبة، لِمَ الانتظار ؟ ساعتك الذهبية هنا.. فستانك الأرجواني هنا، الحق نقول لكم؛ لبوسنا جميعها تبغي معانقة أجسادكم.. تعالوا واشتروا سلعنا الجديدة المتجدّدة، نحن في حركة سككية دائبة مستمرة، نحن الأفضل، شعارنا كُن الاستثناء كُن الأول!.

(يتكرر الصوت الإشهاري ويتدرج في الانخفاض دون أن يتلاشى بالتمام)

صوت خارجي (جماعي) :

دُماكِ بابل • ذابت من لفحة قيامته المجيدة، لِبنْكِ جاز بين ألسنة نيرانٍ غريبة، مزهوًا منتشيًا بأبراج لم ترفع بعد. أنتصَبَ خيمة من دونِ أوتاد ؟ أعلى لِبن تقام أسوار المدينة أم على حجر ؟ إزميل، سواعد وحفر.

صاحت بابل، نحو العُلا أمدّ الجسرا

يقينًا بابل، يا ملقة الشفاه أصابتك حُمّى البشرا تمخّضتِ كبرياءً لتتجبي مَسخًا لا شكل له ولا هوية ولا حتى لسانًا يرسم حدوده الوهمية. ارقصي طربًا، اقطري شهدًا، انصبي شِركًا، فمجدُك باطل، فرحك وقتيّ، قبضُ ريح... مجدُك باطل، فرحك وقتي، قبض ريح..

(يتردد صدى العبارات الأخيرة.. الموسيقى الإعلانية والصوت الإشهاري يخفتان تدريجيًا ليعلو هزيز ريح قوية تُغيِّر الأجواء، الشارع يموج حركة واضطرابًا، أنوار مصابيحه تنطفئ وتشتعل في إيقاع تصاعدي، وقبل أن تنطفئ تمامًا يلفظ الشارع إلى مقدمة المسرح رجلاً وامرأة بملابس صارخة الألوان لا تناسب سنهما المتقدم..)

• برج بابل واحد من عجائب الدنيا السبع. ويُسجِّل لنا الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين بعض مراحل هذا الإنجاز البشري العظيم والذي كان الهدف منه إعلاء الذات وتمجيدها بل وتخليدها من خلال هذا النصب التذكاري، لكن عملية البناء توقفت لأن الرب بلبل لسانهم وشتتهم من هناك في أرجاء الأرض كلها. ترمز بابل في التراث الديني المسيحي إلى مملكة الشيطان التي تُعظم الذات والجسد وتسعى لكسر النواميس الأدبية والطقسية. وفي العصر الحالي هي صورة مخزية للأنظمة الاستبدادية وعلاقاتها المؤسسة على المصلحة والمحتكمة دائمًا لمنطق السوق. وهناك من يناظرها بالمدن الصناعية العملاقة وشركاتها النافذة التي نجحت في استعباد الأفراد وإغراقهم في دوامة الاستهلاك المرضي.

- **المرأة:** (متضايقة من دائرة الضوء التي تحاصر جسدها وتحركاته) تبًا لك (تخاطب تقني الإضاءة) كفى أيها الأخرق! أهذا منظر امرأة تُسلّط عليه أضواء كاشفة ؟ الرجل الأصلع هناك؛ اقتفِ أثره وامنحني على الأقل فرصة ترتيب شعري..

(تُخرِج أدوات زينة من حزام جلدي سميك لامع حول حقويها ثم تنشغل بتسوية مظهرها.. دائرة الضوء تستقر على الرجل الذي فرغ للتو من شدّ تِكّة بنطلونه).

- **الرجل:** (للتقني) يا سااااااااتر! السماء أرحم منك يا كاشف الـ..... على الأقل احترم آداب خروجنا من الشارع الرئيس.. (يُخرج من جيب معطفه زجاجة عطر صغيرة، يسكب بعضه في راحة يده ثم يمسح على محياه بخفة) الغريب أنك تركتَ هذه الوجوه المشرقة الحسنة (مشيرًا إلى الجمهور) لتفضح شعاب وثنايا وجه عديم الشكل.
- **المرأة:** (تزاحمه في دائرة الضوء ثم تختم على وجنته قبلة طويلة) عديم الشكل واللون لكن أريج العطر السحري على ذقنك يوقظ الأفعى المتربصة في داخلي. (تلتصق به)
- **الرجل:** زوجتي العزيزة (يبعدها) للمسرح عيونٌ وآذان!
- **المرأة:** (تحاصره هذه المرة من خلف) دعهم يتعلمون الحب على قواعده يا صديقي.

- **الرجل:** صديقي ؟! (بحزم وشدة ينأى عنها) أووف تجاوزتِ حدود الأدب يا امرأة !

(تبتعد بدورها.. تتسع المسافة بينهما، دائرة ضوء خافتة على المرأة وأخرى على الرجل لكن عالية الإنارة نسبيًا)

- **المرأة:** الأدب.. اللياقة.. الأصول.. .ليتك توقف مدار تلك الآلة.. أإلى الأبد تُلبسُني فساتين من حَسك ؟ (تجلس في فتور وانكسار)

- **الرجل:** (متلعثمًا وبغضب) جُرأتكِ الزائدة تشلّني، لا أحب المرأة الجسورة تعرفين ذلك.

- **المرأة:** أحشائي جفّت من الانتظار، متى تميل إليَّ وتُخلّصني من هذا المرار ؟

- **الرجل:** (يُحاول تغيير الموضوع) أصبحتِ شاعرة زوجتي العزيزة!

- **المرأة:** (في سخرية ودون أن ترفع رأسها) كثرة الهمّ تُشْعِر يا قائد البيت.

(يتحرك ناحيتها.. يبقى واقفا فيما تظل هي جالسة.. الاثنان معا داخل دائرة الضوء الخافتة.. موسيقى)

- **الرجل:** عملتُ كل ما في وسعي لإسعادك، ولم أتوان طيلة العقود الماضية في تلبية طلباتك، أنا وأنتِ عبرنا الشارع الرئيس.. جرّبنا جميع اقتراحاته، لهجنا بكل وعوده ووثقنا في حلوله..

ماذا جنينا من جميع هذه الأتعاب ؟ عبثًا يا امرأة نستظل بخيام العطارين.. نستعطي منهم بركة وهم المساكين!

- **المرأة:** (تضم رجليه بحنان) فرصة أخرى حبيبي.. دعنا نجرِّب آخر وصية.. رقصة الأفعى..

- **الرجل:** (كمن فقد توازنه) سأسقط يا امرأة!

- **المرأة:** (تضم قدميه بقوة) ليتك تسقط، تتواضع وتنزل من عليائك إلى التراب..

- **الرجل:** (أمام إصرارها يجثو على ركبتيه) حسنًا.. حسنًا.. أنزل أنا قبل نزول... (يشير إلى بنطلونه)

(لحظة صمت)

- **المرأة:** (في فرح طفولي) أليس جميلاً حبيبي أن نرى الأشياء من مستوى واحد.. أنظر حبيبي هناك (ناحية الجمهور) أليسوا بُساطًا مائيًا هادئًا يُغري بالإبحار ؟

- **الرجل:** (كمن يُجاري طفلاً) أي أميرتي صفحة فضية تتلألأ كمن تُراقص موكب الطائر الاستوائي أحمر المنقار.

- **المرأة:** واااو ربان سفينتي، ثقافتك البحرية عالية!

- **الرجل:** بدلاً من الشكوى والمحاولة أكثر زوجتي العزيزة، ثقي أكثر.. (مزهوًا)

(ينخرطان في الحوار وكأنهما بالحقيقة على ظهر قارب)

- **المرأة:** اهاا.. تُحب الثناء وتنتشي لسماعه كالطاووس.. (تلكزه من خلف)
- **الرجل:** كما تتجبرين آن يشتدّ اشتياقي إليك.. (يردّ اللكزة بمرفقه)
- **المرأة:** (يتغير مزاجها فجأة) تُجبرني على التصرف بتلك الطريقة، إذ ما جدوى اتحادنا إن لم نُنتج بناتٍ وبنينَ؟
- **الرجل:** (يتعكر مزاجه هو الآخر) بهذه السرعة تحوّل البساط الأزرق (مشيرًا للوجوه أمامه) إلى جماجم ؟ بدأت طقوس النزيف من جديد ونحن في عرض المحيط؟
- **المرأة:** (تصرخ) الوحوش نفسها لن تقبلني أنا الوليمة-اللعينة!
- **الرجل:** وماذا عني أنا ؟ القروش ستفرح بي وتفتح لي أبواب الجحيم لا محالة.
- **المرأة:** (صراخ وضحك هستيري) ماذا عني ؟ مااااذا عني ؟ نزلتَ من عليائك إلى البحر، تقيأت التواضع البرِّي.. اهبط إذن إلى قاع المحيط حيث الظلام والطين!
- **الرجل:** هل بسبب رفضي لوصفة سحرية من شارعك الرئيس، تنفجرين لعنات؟

- **المرأة:** (تمسكه من أذنه) أيها الأصم، نفخوا في المكبرات فلم تسمع، أحرقوا البخور فلم تخشع، رأيتَ الرجال والنساء يتهافتون على العطر فلم تهرع!
- **الرجل:** ألم نقتني آخر زجاجة؟
- **المرأة:** (تصفق له) واااااو حققنا إنجازا عظيما! نعم، بعد مفاوضات ونقاشات حصلنا على قنينة صغيرة وبتردد أكبر أيضًا.. واااااااااو قناص الفرص النادرة!
- **الرجل:** حبيبتي من فضلك اهدئي، سرّ البركة في جيبي، اهدئي فقط عندما نصل إلى البيت أرقص معكِ رقصة الكوبرا.. (بحركة راقصة مضحكة)
- **المرأة:** (تضغط رأسه بين راحتيها) رأسك يا قائد البيت بئر متصدعة لا تضبط معلومات.. اسمها رقصة الأفعى، رقصة الأفعى.. احفظها في وعاء آخر غير هذا (تنقر رأسه).
- **الرجل:** أووووف.. الكوبرا، الأفعى، اللسان، من طائفة زواحف واحدة.. تُهدرين طاقتك في التفاصيل بلا نفع.
- **المرأة:** وأنت تُسيِّب طاقتك في العموميات كمن يُجري مياهًا في صحراء وتُرسل رسائل مختلطة فوق ذلك.
- **الرجل:** عفوًا؟
- **المرأة:** يعني تقول ما لا تفعل؟

- **الرجل:** أنا ؟

- **المرأة:** (تقلده ساخرة) "بدلاً من المحاولة أكثر عزيزتي ثقي أكثر.. " لماذا إذن لا تثق وتستسلم لرقصة الأفعى ؟

- **الرجل:** حاضر زوجتي الحكيمة، سأنفّذ ما تطلبينه بكل دقة ولن أهمل التفاصيل، دعينا نجدِّف بنشاطٍ أكبر لنصل بيتنا في وقت أسرع.. وهناك....

(تقاطعه)

- **المرأة:** (وقد نفد صبرها) هنااااااااااك ؟ من أي طينة شُكّلت يا رجل ؟ تتعمّد صلب مشاعري على مرأى من الكل وفوق خشبة مسرح ؟ أليس لي نصيبٌ من الفرح ؟

- **الرجل:** هيلا هوب هيلا هوب هيلا هوب..

(تُغير من جلستها مدبرة إياه ثم تُجدِّف ببطء شديد في اتجاه عكسي وفي شرود ودون أن يلحظ هو ذلك)

- **المرأة:** هنااااك أُساق إلى الذبح بعار الهزيمة..

- **الرجل:** هيلا هوب هيلا هوب هيلا هوب..

- **المرأة:** هنااااك أُقيَّد إلى العزلة بحمى العناد والخطيئة..

- **الرجل:** هيلا هوب هيلا هوب هيلا هوب..

- **المرأة:** هنااااك قائد البيت لن يحصل حبل فلا تستعجل الوصول أو الوصْل. تدري ما مشكلتك يا عزيزي؟
- **الرجل:** هيلا هوب هيلا هوب هيلا هوب..
- **المرأة:** لعمري حبيبي ظِلُّ حائط خرب أرحم من جثتك الباردة.. من جسدك الصامت!
- **الرجل:** (مستمرًا في التجديف) لو تخلصين النية فقط زوجتي الغالية، أنا معكِ جسدًا وروحًا.. هيلا هوب هيلا هوب.. مشكلتي الوحيدة سيدتي أنني تركتُ الحبل على القارب حتى أضحى فأرًا للتجارب، لذلك قررت من الآن قيادته بنفسي، أنا السيد والرأس للبيت وسأهتدي بحكمتي وخبرتي الملاحية لأنسب المرافئ.. هيلا هوب هيلا هوب..
- **المرأة:** وماذا عن الرقصة الأخيرة؟
- **الرجل:** الرقصة البابلية الرخيصة؟ انسي أمرها... هيلا هوب هيلا هوب.
- **المرأة:** كعادتك زوجي العزيز، تبدأ حارًا متحمسًا لكن تخور عزيمتك وتبرد في لحظات.. لم تفاجئني كلماتك؛ فقد رأيتُ الطفل في داخلك يرتجف ساعة رأيتَ قوة المسحة تُعرّي الزوجين وعلى مرأى من الكل.. (في مرارة) العطر البابلي وأسراره ليست لنا ثماره.. ليست لنا.

- **الرجل:** العطر البابلي لعب بفكرك يا امرأة فصرتِ ترسلين الكلام على عواهنه.
- **المرأة:** احصدْ ثمار ما زرعتَه من دون عزم ولا بصيرة، لماذا مسحتَ بالعطر ذقنك؟ لماذا فتحتَ زجاجة العطر؟ لماذا اشتريته أصلاً ؟ لماذا ؟ لماذا ؟.. (تبكي)
- **الرجل:** (ينتشي لانكسارها) نريد إرضاءكنَّ لننعم بلحظات هدوء، الجبال الصلدة لن تتحمل من دون شك إلحاحكنَّ، لا خيار لنا سوى مجاراة عقولكن الصغيرة... هيلا هوب هيلا هوب..
- **المرأة:** أووه فعلاً أنا ناقصة عقل، جاحدة وناكرة جميل.. أعُضُّ اليدَّ التي بطّلت لعبة الوأد وأنسى أبدًا بأن ظلك غسلني من عار العنوسة.. لعمري تاج رأسي ظلك ناطق بالجود والكرم، تقدّم بطلي فأنا لك خير معين، جدِّف بحماس فكرنفال الخصوبة في انتظارنا والأزمنة الجديدة تفتح الأذرع لاستقبالنا، تقدم بطلي تقدم... هيلا هوب هيلا هوب..

(تزيد من سرعة التجديف لكن في الاتجاه العكسي).

- **الرجل:** (يُلوِّح بيديه فرحًا) لتصُمّ آذانكم هذه الكلمات يا قروش سفلية، زوجتي رديفي تكتحل بظلي.. أنا بطل.. أنا رجل.. رجل.. رجل.. (يتوقف عن التجديف) أين الزجاجة اللعينة ؟ (يفتش عنها في قلق.. يجدها) حسنًا آهاا وجدتها (يقبِّلها) فعلاً

مسحتك عجيبة، تسبي العقول والنفوس (مشيرًا إلى زوجته.. يفتح الزجاجة ويسكب العطر متمسحًا به، يقوم بحركات طقسية غريبة، هذا المشهد ترافقه موسيقى مخيفة) بابل العظيمة، بابل الكنوز الدفينة، اقبلي خضوعنا، اقبلي سكائبنا وتقدماتنا.. أمطرينا بناتٍ وبنينَ.. بابل.. بابل.. بيتي بين أسوارك رهينة.. بابل لا تهمليناً.. بابل لا تهمليناً..

(إنارة بالتناوب وبسرعة على كليهما.. المرأة تجدف بجنون، ضحك هستيري.. الرجل وقوفًا يستعطي قوى خفية متمسحًا ومتمسكًا بزجاجة العطر الصغيرة.. إظلام تام)

▪ الحركة الثانية

دائرية مقصودة

(خلال هذا المشهد، الشارع الرئيس فارغ وهادئ، يتم اعتماد أنوار الأعمدة الكهربائية الخافتة الإضاءة من بداية الحركة الثانية إلى نهايتها.. نرى شخصين: أب واقف وفي حالة انتظار تحت العمود الكهربائي، ثم شاب جالس عند قدم عمود آخر مشغول بهاتفه الخلوي.. المسافة بين الأب والابن واضحة.. يُستحسن إبقاء الجانب الصامت مظلمًا، وهكذا بالتناوب).

- **الأب:** (ينظر قلقا إلى ساعته) أين أنت بني ؟ دورية الشرطة ستبدأ تجوالها الليلي بعد دقائق ونحن في غنى عن أي مشاكل! أين أنت بني ؟ أين أنت ؟
- **الشاب:** (يتحدث عبر المحمول إلى صديق بنوع من التوكيد) أنا في نفس المكان.. (صمت) أجل العمود السادس.. أسرع قبل وصول الدورية.. اووووووووف.. (يشبِّك أصابعه في توتر) لم يخطئ من نسبك لفصيلة الديكة من جهة الذكاء؛ ديك رومي لا غش فيه!.

- **الأب:** لا لا، ابني ولد فهيم؛ ربَّيته على قيم المواطنة منذ نعومة أظافره.. يستحيل أن يتمشى ليلاً بدون "الطابع اللاصق".. يجب أن أهدأ ولا أركن لمثل هذه الافتراضات.. يا رب سكّن صخب الأمواج في خاطري، أسمعني أخبارًا طيبة يا حنّان يا رحيم!.

(من وراء أحد الأصص الإسمنتية يخرج رجل غريب ثمل، يتقدم بخُطى بطيئة ناحية الأب)

- **الغريب:** حللت أهلاً ونزلت سهلاً زائرنا الكريم.. (يتراجع الأب قليلاً إلى الخلف)

(يبقى الأب صامتًا.. ينظر إلى ساعته)

- **الغريب:** أكثر ما يُرعب الآباء ليس ضياع الأبناء بل تأجيل مشروع خُطط تنزيله على قاعدة ثابتة إلى نشرة جوية لاحقة قد لا يهدأ عجيجها إلى حين اقتناع الآباء بضرورة إنزال الأبناء من على أكتافهم ليجسوا بأنفسهم أرضًا لا تعرف الاستقرار أصلاً.

- **الأب:** عفوًا.. هل قلت أبناء ؟ من فضلك سيدي دلني على مكان ابني.. هل مرَّ من هنا ؟

- **الغريب:** سيدي ؟ (يضحك) حللتني من قيد العبودية في ثوان، أنت فعلاً سيد كريم.. وهل سيدوم فيض إحسانك عليَّ أم ستتأفف

من طلعتي وتتراجع إلى الخلف لمَّا تأخذ ابنك الحبيب في حضنك؟ هه؟

- **الأب:** لا لا حاشا سيدي أن أعاملك بجفاء، بل لي عظيم الشرف أن أتعرف إلى رجل حكيم مثلك.

- **الغريب:** سيد وحكيم.. أووه هذه ليلة مختلفة، لقبان في أقل من دقيقتين، لطالما أخبرتُ رفقائي أن المزابل تنجب حكماء، عظماء بل أتقياء، لكنهم لم يصدقوا مزاعمي.. (يهز كتفيه) لا كرامة لحكيم مثلي بين الجهلاء.

- **الأب:** نعم نعم أحكم من سليمان وسيد هذه المنطقة كلها، أخبرني عن مكان ابني وأتعهد بإخراجك في المستقبل القريب من هذا المكان القذر.. لي معارف في مؤسسات مختلفة، فضلاً عن....

- **الغريب:** (يقاطعه) اهدأ أيها الأب القلق، سأدلك على مكانه في الوقت المناسب (يُشعل سيجارة).

- **الأب:** دورية الشرطة قد تمشِّط الشارع في أية لحظة وتطلب مني أن أهدأ ؟

- **الغريب:** درّب نفسك على السكون والصمت ساعة الأزمات (بكل هدوء) سيجارة ؟ (مغتاظًا يدور الأب حول نفسه) في إحدى ليالي الشتاء الباردة، كنت أستدفئ بما فضل بأحشاء حاوية قمامة وفجأة وجدتُ شلة من السكارى المبتدئين تطوقني

وقد تهيأوا جميعهم لمهاجمتي.. لم أظهر أي اهتمام بوجودهم لكن فعلت شيئًا واحدًا: ملأتُ عينيّ بلهيب النار القوس قزحية ثم استدرتُ لمجابهتهم بنظرات ثابتة نارية (يتحرك بخطوات واثقة وعندما يتقابل مع الأب يُطيل النظر إليه.. لحظة صمت).

- **الأب:** (مرتبكًا) و... وماذا حصل بعد ذلك ؟
- **الغريب:** (يرمي بعُقب السيجارة بطريقة استعراضية) ابيضّت رؤوسهم كالثلج وذابت عضلاتهم في داخلهم كالشمع.. صاروا عصافة تذريها رياح حضوري الحارقة.
- **الأب:** لغتك غريبة يا رجل، أرى أن الخمر دارت برأسك.
- **الغريب:** أرى أن جلدك استعاد سمكه الطبيعي فعُدتَ لتفحصني من زاوية مظهرية صرفة.
- **الأب:** (في مسكنة) أنا ؟ حاشا سيدي.
- **الغريب:** (مهدِّدًا) اسمع يا هذا.. لا أحب من يتمسح بي لقضاء مآرب.. كثيرون فعلوا ذلك مثل القطط الشاردة لكنهم جَنَوْا بدل خارطة طريق تهديهم، أذيال فئران تشدهم لحيرة وتيه لا ينتهيان.
- **الأب:** سيدي.. لست في مستوى حكمتك. انظر لي وامنحني خارطة توصلني حيث يوجد ابني. من فضلك دُلني على مكانه، إنه ابني الوحيد.

- **الغريب:** سأعلمك بمكانه تقديرًا لمجهودك الاستثنائي في تركيبه.
- **الأب:** تركيبه؟ ابني ليس دُمية سيدي، إنه من لحم ودم.
- **الغريب:** يُفرحني أنك لم تتجاوز حدودك كأب مُنتج فقط للحم والدم.
- **الأب:** ماذا تعني؟
- **الغريب:** اسمع، إذا أردتَ ابنك اللحم والدم فهو عند العمود السادس من نفس الشارع الذي غويت فيه أنت وزوجتك خلف رقصة الأفعى.
- **الأب:** (يبلع ريقه بصعوبة) هل تعرفني سيدي ؟ من أنت ؟ من أنبأك بتاريخي؟
- **الغريب:** أين لهفتك على ابنك الوحيد ؟ هل تشعر بالتهديد لأني أعرف سرَّك ؟ تخاف على سمعتك أكثر من ضياع ابنك ؟ ألم أكن مُحِقًا عندما قلتُ لك بأنك مُساهمٌ فحسب في إنتاج لحم ودم؟
- **الأب:** (يشد الغريب من عنقه بقوة) إنه ابني، في رحم زوجتي شُكّل إنه من صُلبي.. إنه من صـُ... لـ... (تتخشب الكلمات في حلقه.. ينظر إلى الغريب مليًّا..) أنت؟!!
- **الغريب:** (يلفُّ حول الأب) نعم أنا! اكتشفتَ هويتي الآن ؟ في حموّ غضبي يكون لمقلتيَّ وميضٌ خاص لا يُخطئه من تذوق خمر كرومنا (يُخرج من جيبه قارورة صغيرة) خامات هذا

العطر تسري في حمضك النووي، إنه علامة العهد الذي بيني وبين خيمتك.

- **الأب:** لا أصدِّق بأنك الرجل النبيل صاحب البذلة الحمراء البرَّاقة الذي كان يبشِّر المساكين ويعدهم بأزمنة الخصب والنماء.
- **الغريب:** وعدنا ووفينا.. عرضنا عليكم شروط "التخصيب" بكل وضوح فلم تُبدوا أدنى اعتراض، نحن نشتغل في النور، نزاهتنا واستقامتنا تحفظنا في المراكز المتقدمة من أنظمة التكاثر.
- **الأب:** معك حق، منحناكم أجسادنا وأعضاءنا بدون قيد أو شرط، والنتيجة نسلٌ معوّج يرفض التقويم.
- **الغريب:** لا تيأس أيها الأب الصالح، شارعنا الرئيس له خبرة أيضًا في تصويب أي التواء.. لقد وضعنا لافتة عريضة عند مدخل المدينة للإعلان عن هذه الخدمة الجديدة.
- **الأب:** "صناعة الإنسان"؟ ذاك إعلانٌ قديم.
- **الغريب:** أضفنا خدمة التقويم أيضًا لتصبح "صناعة وتقويم الإنسان".
- **الأب:** (يبتعد قليلاً مفكِّرًا، بصوتٍ خفيضٍ يُعلّق) أهاا، تلك إذن هي الحركة السككية الجديدة والمُتجدّدة! آآه! متجددة ومستمرة بحركة دائرية مقصودة... نقتني الناقص والأعوج فنحتار حدَّ

اليأس لنجد أياديهم جاهزة للتكميل والتصويب، وهكذا نظل في دوخة ودورة تُجدِّد فصولهم وتُجري مياههم وتُربي بزارهم.

- **الغريب:** (يُخرجه من شروده) هيه سيدي! أين جمحتَ بخيالك؟
- **الأب:** أنا مشوّشٌ بعض الشيء... سأذهب لتفقّد ابني الآن... طابت ليلتك.
- **الغريب:** انتظر سأرافقك، خلف كل أصيص إسمنتي تكمن مفاجأة.
- **الأب:** مفاجأة لذيذة بلون بذلتك الحمراء البراقة؟
- **الغريب:** من يدري قد تكون المفاجأة بألوان مختلفة.
- **الأب:** لا لا، مفاجأة واحدة تكفيني وبلون واحد!.
- **الغريب:** الأحمر الأحمر الأحمر.. هههههه

(يغادران المكان معًا، تدريجيا يتلاشى الحوار ومعه إضاءة العمود الخاص بهما)

• • •

- **الشاب:** (لصديقه الذي وصل للتو وفي يده بطاقة صغيرة لاصقة تحوي رمزًا أو صورة ما) ما بالك تحملق إليَّ كالمخبول؟ هات (يرفع قميصه بخفة ثم يشرع في لزق الشكل أو الرمز على جسده) من عوّل عليك شدّ وسطه بخيوط عنكبوت.

- **الصديق:** (كمن به ثقل في اللسان) ثبتها جيدًا حول السّرة إذا أردت الحصول على جولة أطول في "البارك البابلي".. هههه.
- **الشاب:** (يأخذ نفسًا عميقًا ثم يسند ظهره إلى العمود ويترك جسده ينزلق عليه بحرية إلى أسفل) تعال يا صاحبي تعال.. اجلس بجانبي (يهمُّ صديقه بالجلوس فيسمع من بعيد صوت محرك شاحنة، يقفز من الخوف) أحكمتَ إغلاق سُرّتك بالطابع الملكي؟
- **الصديق:** أجل فعلت ذلك منذ ساعات النهار الأولى.
- **الشاب:** حقًا؟ (يصفّق بيديه ويضحك) يا لك من جبان!.
- **الصديق:** صرتُ أفزع لمجرد سماع هدير محرك منذ أن قُبض عليَّ بتهمة التمرد ضد قانون "اللاصق السُّري".. لا تدّعي الشجاعة صاحبي؛ قلبك كاد يغادر مكانه وأنت تنتظرني قبل قليل، خوف الدكتورة إزابل• يسكننا جميعًا!
- **الشاب:** (يغيِّر الموضوع) تعال تعال اجلس يا صديقي، استمتع بهذا السكون وهذا الليل البهيم.
- **الصديق:** أجل، إنها ليلة رائعة.. انظر ليس من نجوم في السماء! (يختار مكانًا بالقرب من الشاب، يجلس نصف ممدَّد ثم يتكئ رأسه على كتف رفيقه).

• يُستخدم اسم إيزابل في التراث المسيحي مثالا لكل من يرفض الله تمامًا ويسعى لنشر عبادات مُضللة. وهي تظهر في الكتاب المقدس كأشرّ امرأة.

- **الشاب:** (مُحتجًا) هذا ما كان ينقصني! اسمع.. سأنزع الطابع الملكي من سُرّتك إن فعلتها ثانية، لستُ وسادتك الحريرية الناعمة، وجهي نحاسي وقاعدتي إسمنتية!.
- **الصديق:** اهدأ اهدأ من فضلك، لم أقصد استعمالك.. أنت تعلم بالثقل الذي أعانيه بلساني وسائر جسدي.. أنا مريضٌ صاحبي، احتمل ضعفي.. حسبت كتفك عمود الكهرباء، هذا كل شيء!.
- **الشاب:** هو كذلك! عمود كهرباء صاعق!.
- **الصديق:** حسنًا.. لتكثر لك السكينة والطمأنينة.. وجودي هنا لا يريحك! يجدر بي الانصراف!.

(يرقّ الشاب وبحركة من ذراعه يُبقي الصديق في وضعيته، فيما يقف هو وخواطر كثيرة تتنازعه.. يخطو إلى مقدمة المسرح.. موسيقى مناسبة).

- **الشاب:** إني أنحدر إلى الهاوية صديقي.. (ناظرًا إلى الفراغ ودون أن يتلفت).
- **الصديق:** صاحبي.. ما جدوى النفخ على حطب أخمدنا لهيبه.. سامحتك وانتهى الأمر!.
- **الشاب:** لا أتحدث عمَّا حصل بيننا الآن.
- **الصديق:** هكذا إذن.. صرتَ تخفي عني أشياء.
- **الشاب:** أنا حائرٌ وقلقٌ جدًا بشأن مستقبلي في هذه المملكة.

- **الصديق:** (يدنو من الشاب.. يُبدي ترددًا في الاقتراب منه أكثر) حائرٌ وقلق ؟!

(لحظة صمت قصيرة يلتفت بعدها إلى صديقه وكأنه اكتشف أمرًا خاصًا)

- **الشاب:** لماذا حاصرتك قوات هامان• تلك الليلة ؟ أليس بسبب تخلّصك من "الطابع اللاصق" ؟

- **الصديق:** إذن هو "الطابع اللاصق"! (يضحك) رأيتك بأمِّ عيني وأنت تحكمه حول سُرّتك، أطرد تلك الوساوس من ذهنك.

(يمسك الشاب بيد صديقه ويرجعان لمكانهما السابق تحت العمود الكهربائي).

- **الشاب:** انتظر، سنحلُّ أنا وأنت أمرًا ملغزًا!

(يختفي ثم يعود سريعًا بحاويتي قمامة.. يقتعدانها مواجهة)

- **الشاب:** صف لي بالتدقيق شعورك لحظة نزعك "للطابع الملكي" وسأشاركك بشيءٍ جديدٍ اكتشفته.

- **الصديق:** شدٌّ عضليٌ في مناطق مختلفة من جسدي، اضطراب نفسي حاد و.. و..

• هذا الاسم يرمز للعجرفة والإعجاب بالذات حدّ الرغبة في السيطرة على الآخرين. وقصة هامان مفصّلة في سِفر أستير أحد أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس.

- **الشاب:** وماذا أيضًا؟ أخبرني!

- **الصديق:** إنه شعورٌ غريبٌ لا أستطيع وصفه.. ما الذي تريد بلوغه بأسئلتك المبهمة هذه؟

- **الشاب:** سأخبرك بكل شيء في الوقت المناسب.. استمر فقط في الحديث عن ذاك الإحساس الجديد الذي غمرك بعد تحررك من "الطابع الملكي".. افتح فمك واعترف لي، أنا صديقك لن أفشي سرّك.

- **الصديق:** الحدود التي رسمتها "شريعة بابل" لا أستطيع تجاوزها.. اتركني وشأني!

- **الشاب:** كسرتَ قانونها صديقي وحصل ما حصل؛ اختبرت شيئًا جديدًا وبُعدًا آخر ظلَّ لسنين مخفيًا على مواطني مملكتنا الحزينة لا تتكلف البلادة صاحبي.

- **الصديق:** أخفض صوتك فالمراقبون في كل مكان! كيف تجسر على وصفها بالمملكة الحزينة؟

- **الشاب:** مملكة حزينة، شقيّة برصاء! تعال وانظر (يجرُّه من كُمِّ قميصه إلى أصيص إسمنتي) هي ذي تربة مملكتنا النديّة (يُذرّي الغبار بيديه) عناصرها حُبلى بأزمنة الإزهار.. أليس كذلك؟ (ينثر حبات الرمل في الهواء) تنسّم أريج القرنفل... يا لجمال أزهار الياسمين! عبق مملكتنا يحفّز الحواس والأجهزة

الخفية في هذا الجسد للعمل والإنتاج من دون سعي ولا حركة! تنسّم يا صاحبي وطِبْ نفسًا!.

- **الصديق:** (ينفض ثيابه في انزعاج) توقف عن فعل ذلك! يكفي هذا! أووف!.
- **الشاب:** (بسخرية) طوباك أيها المواطن المرتّب النظيف! هنيئًا لك بهذه النقاوة البابلية الخالصة، ولتسعد المملكة بكل فرد يُبدي النية الصالحة تجاهها.. (يدنو منه) هل أرفع صوتي أكثر وأذيع خبر توبتك الأصيلة ؟ من دون شك، الدكتورة "إزابل" ستتحنن عليك وتُعطي أمرًا للأطباء بتخليصك من الرقائق المخدرة تحت جلدك!.
- **الصديق:** لن أستجدي عطف أي مخلوق يدبُّ على أديم هذه المملكة، وبصبرٍ سأحتمل آلام الرقائق وخدرها المتجدّد.
- **الشاب:** أنا وأنت نحمل سرًّا خاصًا في جيناتنا! كلماتك الآن تؤكد اكتشافي.
- **الصديق:** وهل قلتُ شيئًا ذا قيمة؟
- **الشاب:** لم تقله فقط صديقي لقد فعلته وجنيتَ ثمار اختيارك الحرّ
- **الصديق:** أخشى عليك الوقوع بين أيديهم؛ فقد ابتدأ الأمر في داخلي،تحيّرتُ لأيام وانشغلت بالتفكير في تلك "الإرادة الجديدة"

التي هبَّت كالعواصف وحرّكتني للتحرر من "العلامة البابلية".. ثم.. ثم....

- **الشاب:** ثم.. ثم ماذا ؟

- **الصديق:** شعرتُ بالدوار بسبب الجوع والعطش.

- **الشاب:** طبيعي.. معلوم.. منقوش على بوابات المراكز الطبية لمملكتنا: "الطابع اللاصق يلعب دور الحبل السّري".. كل من تهاون أو تعامل بعدم حكمة مع طابعه اللاصق وقام بنزعه سهوًا، يُعرّض نفسه لخطر الموت جوعًا أو عطشًا، وعليه تثبيته بسرعة قبل تقييم رادارات المتابعة للموقف وإدراج الفعل ضمن حالات خاصة أو تشوهات خلقية. حيث يتحول السلوك العرضي إلى عادة، فطبيعة جديدة متمردة وفي هذه الحالة تُزرع الرقائق المخدرة للحدّ من دفق تلك الرغبة.

- **الصديق:** فعلاً؛ الرقائق اللعينة ابتلعت رغبتي في التخلّص من العلامة المميزة لنا عن باقي الممالك المتاخمة عدا آثارها الجانبية التي جعلتني مثار هُزء وسخرية.. ستُلدغ صديقي إن واصلت النبش في جحر الحيّة.

- **الشاب:** ما اكتشفتُه يحفزني لنقض أسوار هذه المملكة لأننا بكل بساطة لسنا منها!.

- **الصديق:** ما الذي اكتشفته يا هذا ؟ لقد بدأت تثير قلقي!

(في حماس يأخذ بيد صديقه.. يتلفت يمينًا ويسارًا في حذر)

- **الشاب:** أعلم سرّ تلك الرغبة الدافقة!.

- **الصديق:** كيف حصل ذلك؟ متى؟و كيف؟

- **الشاب:** دعنا الآن من متى وكيف... المهم هو الاكتشاف!

- **الصديق:** (كمن فقد اهتمامه بالأمر) حسنًا.. كلي آذان صاغية.

- **الشاب:** لا لا لا.. لا أريد حواسك فقط.. أعطني قلبك أيضًا وتهيّأ للمفاجأة!.

(صمت قصير.. الصديق بحركات مضحكة يُبدي اهتمامًا مفرطًا)

- **الشاب:** (يهمس في أذن صديقه بحديث)...

- **الصديق:** (يصرخ) ماذا؟ أنا ابنٌ شرعي؟

- **الشاب:** (يمنعه من الصراخ) اصمت أيها المخبول ستفضحنا!.

- **الصديق:** ملعون اليوم الذي اتخذتك فيه صديقي الحميم! أنا سليل "الرقصة المقدسة" تصفني بالابن الشرعي؟ ويلٌ يا صديقي أهون من ويلين.. يكفي ما جرى لي بسبب تمردي!.

- **الشاب:** أنت سليل أسرة شريفة من أب وأم حقيقيين.. هذا هو الطبيعي أيها الأخرق.. اهدأ ! أنا أيضًا ابنٌ شرعي مثلك.

- **الصديق:** أنت أيضًا؟ تتنكر للعهود والشريعة والختم البابلي بهذه السهولة؟

- **الشاب:** الرقائق المخدرة صديقي تفيض فيك الآن رسائل ملتوية! في الواقع أنت بطل.. أنت أول من تمرّد على الختم الملكي.. نزعته بإرادتك لأنك لست من هذه المملكة، أنت ابن أب شريف وأم حرّة.. هذه هي هويتك الحقيقية.. لا تستسلم لموجات الرقائق الكاذبة!
- **الصديق:** ليتك توقف زحف تلك الأفكار قبل أن تطمرنا معًا في جُبٍّ بلا قرار!.
- **الشاب:** ليس في قدرتنا أن نتحكم في ذلك.. إنها لحظة وعي.. وعي الذات بحقها في الاختيار.
- **الصديق:** وماذا عن بقية الشعب ؟ إنهم يعيشون في خضوعٍ تامٍّ لقوانين المملكة ويواظبون على حفظ وصاياها المقدسة ويحيون في سلام مع أنفسهم ومع الآخرين.. لِمَ لا نتمثل بهم ونكف عن هذا الجموح ؟ ألسنا جميعنا أبناء "الرقصة المقدسة" ؟
- **الشاب:** أنا وأنت استثناء! اسأل أبويك فيخبراك عن السرّ!
- **الصديق:** ألم أخبرك بأن لهيب أفكارك سيأتي على الأخضر واليابس ؟ لا تحشر والدينا في الموضوع... (يطبق جفنيه من التعب بقوة ثم يفتحهما.. يسترسل) صحيح أن فضل البركة يرجع للمسحة المقدسة لكنهم فعلوا أيضًا ما في وسعهم لإنجابنا، بدل زجهم في الضيقات؛ ترفق بهم واطلب منهم أن يرْوُوا لك

قصة مجيئك إلى هذه الأرض ربما تستعيد ثباتك فتتركك حُمّى التمرد والعصيان.. أصغ إلي صديقي واقبل مني هذه الفكرة السديدة: اعرض نفسك على "مركز إيزابل للتقويم الخلقي" وامنحهم فرصة تفكيك عناصر تلك الشفرة اللعينة عن طيب خاطر.. ومن يدري قد لا تخضع لعملية زرع رقائق مخدّرة.

- **الشاب:** القضية أعقد مما تتصوّر صاحبي، الرقائق المخدّرة وأنظمة فك وإعادة التشفير تضبط مستويين فقط في كياننا البشري: الجسد والنفس.

- **الصديق:** وما المشكلة في ذلك؟

- **الشاب:** القوة التي عملت فيك للتخلص من "الختم البابلي" تتحرك في مستوى أعمق من الجسد والنفس لذلك تأثير أنظمة المركز للتحكم في دوافعك الباطنية سطحي.

- **الصديق:** هل تعني بذلك أنه لي بُعدٌ آخر لم أكتشفه؟

- **الشاب:** تمامًا يا صديقي!

- **الصديق:** أيكون هو إذن منبع تلك الأفكار الكبرى والرئيسية عن الحياة؟

- **الشاب:** بدون شك!.

- **الصديق:** ولماذا نعاني أنا وأنت فقط دون بقية الشعب؟

- **الشاب:** (يتأكد من عدم وجود أي مراقب) لأننا أفلتنا من هيمنة "الرقصة المقدسة" وسيادتها المطلقة على كل وظائفنا الأصلية.
- **الصديق:** ماذا تعني بذلك؟
- **الشاب:** تأثير "رقصة الأفعى" كان جزئيًا فقط لأن والدينا أو واحدًا منهم على الأقل رفض الخضوع لشروط الإخصاب كما هي موضحة في نشرة زجاجة العطر.
- **الصديق:** افتراضاتك غير صحيحة، ولادتنا خير دليل على سرِّ "الرقصة المقدسة".. لو أبقى آباؤنا العبوات محكمة الإغلاق لما انفتحت الأرحام.. لا بد أن هناك خللاً ما فينا، وعلينا فقط التسليم بذلك والاستسلام لعملية التقويم الجديدة.
- **الشاب:** الرواية الحقيقية سمعتها صدفة من فمِّ أمي.. كانت تلوم والدي وتحمّله مسؤولية جفاف أحشائها بعد الولادة الأولى لأن حياءه وقرفه منعاه من التعري على منصة العرض وإكمال الطقس السحري للنهاية.. تأثير مسحة العطر كان محدودًا ووقتيًا ولم يمتد إلى كل عناصر تركيبتنا المعقدة كبشر، وهذا ما يفسِّر وجود هذا الفراغ العجيب فينا وعطشه المستمر للتحرك والبحث عن ملء جديد وراحة جديدة..
- **الصديق:** كنت أتوقع منك حلاً لهذا الفراغ، وليس قصة منشئه.. سيغشى عليَّ إن واصلتُ الاستماع إلى تأويلاتك الملغزة.

- **الشاب:** وأنا سيُقضى عليَّ إن واصلتُ العيش داخل أسوار هذه المملكة.

- **الصديق:** ماذا ؟ تريد الخروج من المملكة العظيمة ذات الأسوار المنيعة؟

- **الشاب:** أريد الخروج من التيه والفراغ والملل!

- **الصديق:** (مرتبكًا) هـ.. هل أنت جادٌ في مسعاك؟

- **الشاب:** أجل.. سأتخلص من "الطابع البابلي" وأتحرَّر من أبراج بابل الوهمية.

- **الصديق:** تقدم نفسك ذبيحة للمجهول والعراء؟

- **الشاب:** أفضل من الموت البطيء قلقًا وتفكيرًا وتخديرًا!... ضع يدك في يدي صديقي ولنسرع بالرحيل!.

- **الصديق:** رجلاي لا تقويان على حمل جسدي والختم الملكي حول سرّتي فكيف يتأتى لي ذلك دونه؟

- **الشاب:** لن نموت يا صديقي بل سنحيا.. تقوّ وتشجع.. سأسندك في الطريق وأحملك على كتفي إن لزم الأمر.. تشجع صديقي!

(هدير محركات مع صوت منبهات دوريات الأمن يُسمع من بعيد.. موسيقى تُنبئ بخطر)

- **الشاب:** أمامنا وقتٌ كافٍ للهرب.. لا تخفْ! دعني أتخلّص أولاً من هذا الطابع اللعين.. هكذا... الآن رادارات المراقبة عن بُعد لن تعرف وجهتنا! ماذا تنتظر ؟ هيا! تخلص من ختمك بعجالة.. دعني أساعدك..
- **الصديق:** (يتراجع إلى خلف) اتركني وشأني.. (يتكئ على عمود الكهرباء في وهن) لن أجاري اندفاعك في رحلة غير مأمونة العواقب.. سأستمر في أخذ العلاج ومقاومة تلك الرغبة الجامحة والمتمردة في داخلي.. (يفقد توازنه ثم يسقط أرضًا.. يئنُّ ويتنفس ببطء..) من يدري؛ فريق "مركز إيزابل للتقويم الخلقي" قد يتوصلون إلى حلٍّ جديدٍ عندما أروي لهم منشأ وأصل دائي.. آآآآه... آآآه..
- **الشاب:** أيها الخائن.. تلك طريقة رخيصة للحصول على شفاء.. سيزرعون رقائق التخدير تحت جلد بقية الآباء خوفًا من تنامي أي رغبة في الانعتاق!
- **الصديق:** (يضحك في بله) آخخخخخ هههههه المهم أن أشفى.. المهم أن أحيى وليشقى من يشقى!.
- **الشاب:** لن تحيى لتفعل ذلك أيها الأخرق.. موجات الرقائق المخدرة قتلت فيك البنوة.. قتلت فيك الإنسان.. الآن ازددتُ قناعةً بقراري لكن قبل رحيلي سأفطمك عن لبن المستوحشة وفي دقائق قليلة ستبتلعك الهاوية.. (ينقض على صديقه).

- **الصديق:** لا لا لا دعني أعيش.. دعني أحيا.. جسدي ضعيف.. لن أستمر لن أبقى.. آآآآه آآآآآآه!

(يتلف الطابع اللاصق بعد خلعه من على سرّة الصديق بقوة.. يغادر المكان مضطربًا ويترك صديقه يتلوى من الألم.. تدريجيًا تصغر دائرة الضوء لتصبح خافتة.. صفير الدوريات يتصاعد.. عند وصول الأب برفقة الغريب يصبح الصديق جثة هامدة.. الأب في ذهول يحاول استيعاب الموقف، فيما ينشغل الغريب بتفتيش المكان).

- **الأب:** (يجسُّ نبض الصديق) إنه ميتٌ سيدي! (يلصق أذنه بصدره للتأكد) لا حياة في هذا الجسد!.

- **الغريب:** (يتفحص الطابع الملكي للشاب) منحناكم وصايا كاملة لتحيوا في كنَف المملكة سعداء، أبراجنا الحصينة وألوف مراقبين عليها تسهر على حمايتكم ليلاً ونهارًا، ومع ذلك تنفثون عصيانًا وتعديًا! (يضم قبضته في حنق على الطابع الملكي ثم يرخي أصابعه ليسقط أرضًا).

(لحظة صمت.. الأب بيدين مرتعشتين يلملم قطع الطابع اللاصق المتناثرة ثم يرميها.. يلتقط ختم ابنه عند قدمي الغريب...)

- **الأب:** لماذا فعلت ذلك بني؟ لماذا ؟

- **الغريب:** لأنك تسترت على سلوكه الشاذ ولم تخطرنا بأمر تغيرات جيناته المفاجئة. كان يفعل ذلك باستمرار.. أليس كذلك ؟

- **الأب:** ابني شاب سوي.. ابني مغرم بابنة الجيران... من فضلك لا تقذف بتهمك بعشوائية!

- **الغريب:** لا تدّعي البلادة أيها الأب الصالح؛ مهمتي في هذا الشارع الرئيس ضبط الختم الملكي على سُرركم بإحكام؛ ليس من اختصاصي ضبط طاقاتكم الأخرى.. ابنك تخلّص من الطابع اللاصق بإرادته.. كان يفعل ذلك بانتظام ولم تخطرنا لتقويم شذوذه والتوائه!.

- **الأب:** ابني بريء! ابني ضحية معاشرة رديئة!.

- **الغريب:** سنعرف تفاصيل الجريمة من خلال الرقائق المخدرة تحت جلد جسد الضحية.

- **الأب:** الضحية ؟ الجريمة ؟ ابني ليس بقاتل.. ابني بريء.. ابني مغرم بابنة الجيران.. ابني بريء!

(يردد هذه الكلمات في حزن بالغ)

- **الغريب:** (يتكلم من خلال جهاز لاسلكي كمن ينهي إجراءات إدارية) نعم.. العمود السادس.. سيارة إسعاف وطاقم خاص بالختوم الملكية هذا ما نحتاجه الآن.. للأسف حالة ثانية.. طبعًا سنتصرف.. لا لا تقلق.. لن يعيش في البرية طويلاً.. ختمه

معنا.. إنها حالات استثنائية وقد تكون الأخيرة.. دامت لكم العظمة... زهشيليس•!

(يواصل فحص المكان.. الأب يهذي كمدًا.. صوت سيارة الإسعاف يقترب.. إظلامٌ تام).

• زهشيليس: تحية خاصة بالجهاز الإداري أو العسكري لمملكة بابل حسب النص وهي مبتكرة فقط.

▪ الحركة الثالثة

باطنية بدون قـن

(تتوسط الخشبة طاولة رخامية مستطيلة الشكل، يجلس إلى عرضيها المتقابلين محققان ببذلة خاصة، كرسياهما متحركان.. المتهم شيخٌ وقورٌ وهادئ، يجلس إلى الطاولة في مواجهة الجمهور على كرسي ثابت. عمق الخشبة وجانباها مظلمان.. إضاءة مركّزة فقط على مشهد وعناصر التحقيق)

- **المحقق١:** زهشيليس فاتحة الكلام.
- **المحقق٢:** زهشيليس خاتمة الكلام.
- **المحقق١:** أذكّرك حضرة المحقق بأنك هنا لتبحث وتنقّب.
- **المحقق٢:** أذكّرك حضرة المحقق بأنك هنا لتفتش وتمحّص.
- **المحقق١:** سأمدُّ يدي ناحية كتفك الأيمن وأشغّل جهاز تحديد المسار والقن بالضغط على الزر هكذا!
- **المحقق٢:** سأمدُّ يدي ناحية كتفك الأيسر وأشغّل جهاز التسجيل بالضغط على الزر هكذا!

(يصفّق الشيخ بيديه ويضمّ شفتيه في سخرية)

- **المحقق١:** إني أشمُّ رائحة استعلاء في المكان.
- **المحقق٢:** انتفاخ يسهِّل علينا خلع الحجاب عن مكنونات نفسه كما يُخلع الجلد على أُضحيةٍ نال منها سكين القضاء.
- **المحقق١:** لتحفظ لك أسرار بابل المقدسة هذه النباهة حضرة المحقق، إنني فخورٌ بمشاركتك مراسيم هذه الجلسة.
- **المحقق٢:** وأنا أيضًا سعيدٌ بهذا المديح الذي يجدِّد طاقتي ويغنيني عن تحديث برنامج التشغيل.
- **المحقق١:** لا مناص من ذلك؛ على الأقل بالنسبة لي.. لا تنس أنني طالب محقق تحت التدريب.
- **المحقق٢:** هيا إذن نُعجّل بتحديث برمجتك الآن قبل الشروع في عملية التحقيق والتنقيب.
- **المحقق١:** حاضر سيدي المحقق، نفعل ذلك كما أشرتَ أيها اللبيب.

(بحركة آلية يدوران حول محور الكرسي نصف لفّة ليتخشبا في وضعية يستدبران معها الجمهور).

- **صوت خارجي (جماعي)**

لكأن الأرض من تحتكم حديد، والسماء من فوقكم نحاس.. بابل كمنت للبريء كلبؤة جائعة، استلت خنجرًا أضاع طريق الرجوع إلى غمده.. لا راحة لكم أيها الودعاء في مراعيها.. لا كسوة لكم أيها العراة في حظائرها.. لا خمر لكم أيها الحزانى بين كرومها.. لا شفاء لكم أيها السقماء على أسرتها.. أرض بابل من تحتكم حديد وسماؤها من فوقكم نحاس.. أرض بابل من تحتكم حديد وسماؤها من فوقكم نحاس..

(يعود المحققان إلى وضعيتهما السابقة)

- **المحقق٢:** الرسائل التي التقطتها أجهزة برج المراقبة تخبرنا أنك صنعت ثغرة في سور المدينة وانطلقت في رحلة مجنونة من دون وجهة أو هدف.. هل هذا صحيح؟
- **الشيخ:** أجل، خرجت من المملكة بحثًا عن الوجهة والهدف.
- **المحقق١:** بعد أن حفرتَ ثغرة في سور المدينة طبعًا!.
- **الشيخ:** لا قوّة لي على فعل ذلك.
- **المحقق٢:** تريد أن تقول بأنك لم تستعفي من معاونة الآخرين.. جيّد!
- **المحقق١:** من تقدمك في عملية الحفر إذن؟
- **الشيخ:** لستُ أعلم!
- **المحقق٢:** صمتك أيها الشيخ لن يُثني عزيمتنا.

- **المحقق١:** عنادك لن يكسر شولة أسئلتنا.
- **المحقق٢:** احفظ لعظامك بقية طاقة تعينك على رطوبة القبو.
- **المحقق١:** افتح شفتيك بالاعتراف فدستور مملكتنا التقيّة يذخر لك التخفيف وقد يبسم لك بالعفو.
- **الشيخ:** رطوبة قبو أم تخفيف وعفو! اثبتا على وعدٍ واحدٍ وبعدها سأقرِّر.
- **المحقق٢:** لا شك أنك سُقيت مياهًا غريبة في المكان الذي تغرّبت فيه، عمن أخذت فنَّ المراوغة؟
- **الشيخ:** المراوغة فن! الكذب فن! القهر فن! ما برحت مملكتكم نافورة أفانين مجنونة تقذف سلعها الرخيصة عند بوابات المدن وساحاتها.
- **المحقق١:** (محتدًّا) ما حاجتنا سيدي إلى إنهاء عملية التحقيق وهو يُصرِّح بانفصاله عن الوطن الأم؟ خيانته جليّة لا لُبس فيها سيدي المحقق.
- **المحقق٢:** (يتجاهل تعليق زميله) الحق قلت أيها الشيخ الوقور، سلعنا وبضائعنا ذات صيت كوني وسحرها يفتن الكبير قبل الصغير فكيف تُجرّم أنت وأتباعك فنّ التسويق وتنفي منطق السوق؟

- **المحقق١:** كأيّن من أتباع أفنتهم الغيرة وضيّعهم العناد الأجوف البغيض.
- **الشيخ:** لا أتباع لي ولا تلاميذ.
- **المحقق٢:** لماذا رجعت إذن إلى أرض هجرتها بإرادتك الحرّة كما تزعم ساعة أي تحقيق؟
- **المحقق١:** من دون شك ليقتنص النفوس الضعيفة ويضمها إلى الحظيرة الآمنة كما يتشدّق ساعة كل تحقيق.
- **الشيخ:** عدتُ لأنقض أسوار بابل الوهمية وأدوس رأسها الذي ينفث أفكارًا أثيمة! رجعتُ وفي داخلي شعلة عُلويّة لن تبرد أو تنطفئ أو تفتر رغم المقاومات السفليّة.. قفلتُ من رحلة الخلاص والحرية لأجمع حقائبي وصور أحبائي ورفاقي.. وأضع تحت وسادة ابني الحبيب قصاصة تحوي خارطة الطريق.
- **المحقق١:** هذا إعلان صريح للعصيان ورغبة مسعورة في إشعال فتيل الفتنة وسط الشعب سليل الرقصة المقدسة.. ما حاجتنا بعد إلى إكمال التحقيق حضرة المحقق؟
- **المحقق٢:** (ينحني قليلاً إلى الأمام ليهمس إلى زميله) اعتصم بالصمت علّنا نهتدي إلى مكان القصاصة! (يعتدل على كرسيه ثم يخاطب المتهم) اسمع أيها الشيخ.. أحشاء وطنك الأم لن

توصد في وجهك إن أبديتَ لها الدوافع النقيّة، حماسك مع الوقت سيتلفع بالياس ومشاعرك الحارّة ستبرد على صفيح الواقع.. أخبرنا عن مكان القصاصة.. خارطة الطريق.. (صمت).

- **المحقق١:** هي ذي الآن فرصتك لتبدي التعقل في زمن الشيبة وتُكفّر عن شطحات زمن الشبيبة.
- **المحقق٢:** دعنا نسترشد بخطاك حيث يقيم الوحش المارد الذي نفخ فيكم نسمة حياة غريبة.
- **المحقق١:** الوحش وجه الدولة البارد مُثير الزوابع الهاجعة بين جفني فايو•.
- **المحقق٢:** اعترف ولا تهب نقمته.
- **المحقق١:** تكلّم فلن تصيبك لعنته.
- **المحقق٢:** أين وضعت القصاصة؟
- **المحقق١:** أين طمرت خارطة الطريق؟
- **المحقق٢:** تكلّم.
- **المحقق١:** اعترف.
- **المحقق٢:** تكلّم.
- **المحقق١:** اعترف.

• فايو: إله الريح في الحضارة الهندية.

(من خلف طاولة التحقيق يتصاعد دخان كثيف.. أصوات متداخلة تملأ الأجواء مع موسيقى تُنبئ بخطر.. الشيخ هادئ وثابت في مواجهة تهديدات المحققين والتي تعلنها حركة أيديهما وانقباض عضلات وجهيهما.. يظهر الغريب في المشهد مرتديًا معطفًا قوس قزحي برَّاق ينتهي عند الركبتين بأذيال ضرغامية.. يطوف حول طاولة التحقيق في شموخ وكبرياء ليستقرّ أخيرًا خلف الشيخ.. حضور الغريب يجعل المحققين يبديان انضباطا شديدًا وبحركة آلية يدوران حول محور الكرسي المتحرك نصف لفَّة فيتخشبان في وضعية استدبار للصالة... تُخفض الموسيقى إلى مستوى معيّن لكن تبقى حاضرة حتى نهاية الحركة)

- **صوت خارجي (جماعي)**

سنديان أرز وآس طلع من مسام أقدامهم المتربة. خفت خطاهم نحو مدن خربة وقرى حزينة ومساكن متشحة بالرماد.. سنديان أرز وآس أزهر من بين أصابعهم الخشنة. انفتحت أذرعهم لمعانقة المسبيين العائدين، وأسرعت سواعدهم لإقامة المنحنين المتروكين، أما أناملهم فأعطيت سر الحرير.. أبدًا لم تخذل طفلا أو امرأة أو شيخًا ينتظر وحيدًا على الحصير.

سنديان أرز وآس تأصّلت جذوره في عروقهم وامتزجت عصارته بدمائهم، فكانت أجسادهم، أرجلهم، أقدامهم، أياديهم، أصابعهم، أناملهم، نظراتهم

وأصواتهم، بحق قنوات يمرّ منها فرح المعنى للحزانى، شفاء المعنى للمرضى، وحياة المعنى للموتى..

طوباكم أيها الفعلة وأنتم صاعدون عبر التلال منحدرون ناحية السهول، اطفروا واهتفوا وهللوا بل خبّروا عن رقصة الحصاد الأصيلة حيث الروح بين ضلوعكم يشتعل والعروس بالأثمد البلوري تكتحل والمنجل السماوي في اليد القديرة تحارب عنكم.. تجمع عنكم.. تقول الكلمة الفصل والأخيرة.

(صمت)

- **الشيخ:** كنت أعلم بأنك ستأتي شخصيًا لمقابلتي.
- **الغريب:** (يضبط أزرار معطفه في عراها ويسوّي هندامه مزهوًا مدندنًا) عظيم.
- **الشيخ:** أيضًا لم يفاجئني انغراسك خلفي كنبتة طفيلية تتمسّح بقدم شجرة وارفة الظلال.
- **الغريب:** (متكلفًا الهدوء يخرج من داخل معطفه زجاجة العطر الصغيرة، يستمر في الترنم بلحن مُبهم ثم يضع قطرة منه على راحته وبطريقة بهلوانية يمسح على وجنتي الشيخ).
- **الشيخ:** يا لكرمك يا رجل! سأعوِّض لك تعب محبتك يوم تُزفَّ عروسًا للنار والكبريت!

- **الغريب:** (و قد اشتدّ غضبه) أيها القذر! أين هيبة وسلطان العطر المقدّس ؟

- **الشيخ:** (ساخرًا) اسأل الرياح الأربعة الهاجعة تحت جفني فايو.

- **الغريب:** (يهمس في أذنه بشماتة) بل سأسأل مقلتي ابنك الغالي.. أقصد ابنك اللحم والدم طبعًا.. لعلّ فيهما يكمن سرُّ مروقك وانفصالك عن الوطن ثم تسللك الغريب إليه بنيّة مُبهمة.

- **الشيخ:** (دون أن يفقد سلامه) لا تأذِ الصبي! لقد صرَّحت بدوافع رجوعي دون مواربة أو مُراوغة.

- **الغريب:** لا تحاول إقناعي بألوان من التعلاّت.. أنقض الأسوار.. أهدم الظنون والأفكار.. شعلة لا يخمد لها أوار.. ثم.. ثم.. آه تلك الخرافة، خارطة الطريق المزعومة! (يفكر) لا أجد في رجوعك تصميم العظماء الأحرار.. من يهجر أرضًا أو عشيرة بحثًا عن المعنى والهدف لا ينظر إلى الخلف أو يُرخي خزامة نعليه! لاشك أنك أخطأت الهدف.. أضعت سبيل الحياة!

- **الشيخ:** (يرفع رأسه ثم ينظر إلى الصالة كمن يتهيّأ لمخاطبة جمهور) أيها السادة والسيدات..

ياوجوه السعـد....د (يسدّ الغريب فم الشيخ بقوة وقد اشتدَّ حنقه)

- **الغريب:** جاوزت حدودك أيها الشيخ الهرم وبلغت من العمر والحمق مداه! أنا القائد والواعظ والمرشد والسيد في هذه القاعة! أنا من يسأل وأنت تُجيب! أنا من يفكّر ويقرِّر! اسمع،

خطوة واحدة خارج تخوم طاولة التحقيق أو بعيدًا عن مدار الحديث ستصب حُمم بركاني في مَحْجِري ابنك الغالي الحبيب! أقصد ابنك اللحم والدم! (يزيح قبضته من على فم الشيخ).

- **الشيخ:** لا سلطة لك عليه، إنه يسير الآن في المعنى لا تُثنيه وعودك البرّاقة وأشياؤك التي تُرى عن التقدم بتصميم خارج المبنى.
- **الغريب:** أنت تهذي بما لست تعلم.. فيما أنت تتكلم بعد هو يُقيّد بسلاسل.. كُفّ إذن عن التعلق بعظائم يختلقها عقلك الفاسد.
- **الشيخ:** (في سخرية) ذاك الشبل من هذا الأسد! يكفي الابن أن يكون مثل أبيه.
- **الغريب:** (في شماتة) تائهًا في الصحاري.. ذليلاً مُحتقرًا في السجون.. يا للحياة الوافرة الكريمة التي رجعت لتبسطها أمام ابنك الغض! ظننتك ستهتم بمستقبله وما يمكن أن يلحقه من سوء أمام صمتك العنيد لكن صرتَ أقسى من حجر الصوان ولربما ستشاركنا غدًا في احتفالية كرنفال الخصوبة.. مازلتَ يقينًا تذكر الشكل أو التقليد أو الطقس.. اختر الاسم الذي يليق بقناعاتك الجديدة فالأمر لم يعد مُهمًّا بالنسبة لنا ما دامت الذبيحة مهيّأة ودُهن المعنى عليها.. المعنى.. نعم المعنى.. (ضحك مزعج عريض).

- **الشيخ:** يا رئيس جوقة الفشل، كم مرّة أخبرتك وأعلنتُ في مكاتب تحقيقاتكم أننا غائبون عن الجسد حاضرون في المعنى.. حياتنا لا تتوقف على اللحم والدم وطاقتنا نستمدها من نور لا يتلاشى أو يُدنى منه.
- **الغريب:** دعك من هذا البرود المصطنع.. غدًا سننفخ في الأبواق ونرسل رسائل ودعوات لكل الرؤساء والقادة والوزراء ليشهدوا أقوى تراجيديا على منصة عروضنا الاستثنائية.. آنئذٍ ستتحوّل أنت وابنك إلى رماد يُذرى عند عتبات البيوت وحول المدافئ؛ حكاية شعبية عن شجرة سكنت تربة العزّ والبهاء جيلاً بعد جيل، فأورقت وأزهرت وبسطت ظلها يمينًا وشمالاً، شرقًا وغربًا. وساعة مواسم كرمها رحّبت لطيور السماء من فوق ولكل السائرين على الأرض من تحت.. وفي غمرة فيضها، انتعشت الأجران وندیت البيادر وبشّرت بالقناطير المقنطرة وبعائدات الغلال المُصدّرة، حتى إذا دنى أوان تتويجها في الساحة الرئيسية على مرأى من أحبائها وأعدائها، استسلمت لحرارة نسغها فهجرت تربة العزّ والنماء... المسكينة جرت خلف أكذوبة الحرية والخلاص.
- **الشيخ:** يا لحذاقتك في نسج قصص للتسلية وجلب النوم.. ولكي تُحرّك قصتك القلوب المتحجّرة... أقترح عليك أن تضع على ظهري حُزمًا ضخمة من الحطب ولا تنسى أن تملأ راحة ابني

وهو يتقدمني إلى المحرقة نشارة ناعمة تُنهض النفوس الخاملة وتُهيّئ لها أسباب التنهّد والأنين!

- **الغريب:** إنه واقعك المُرّ ونهايتك المأساوية.. الصالة وعيونها شهود.. (للجمهور) أيها المواطنون، أيتها المواطنات؛ أتبدو على هذا الشيخ الهرم سمات الفاتح المُحرّر ؟ أتفصح بنيته عن عناصر البطولة ؟ لعمري أرسلوك أرنبًا لتجس نبضنا فحسب، وفي ضوء ذلك ينظر زعيمكم في الأمر ثم يُقرّر الخروج لمواجهة مملكتنا أو الانتظار تحت لهيب الصحراء ولفح الشمس حتى إشعار آخر.
- **الشيخ:** مملكتك المتجبرة سقطت منذ قرون بعيدة، لماذا تتعلق بأسوار سُوّيت بالأرض وبسماء لفظتك وأغلقت في وجهك مسالك العروج إليها ؟ لقد اندحرت أيها الغريب وفارقتك قوتك ومجدك إلى الأبد.
- **الغريب:** غيرتك ستبتلع آخر نسمة تتحرك بين ضلوعك الهشّة.
- **الشيخ:** (يهزّ كتفيه) وبعد ؟ سيأتي من له القدرة على التغيير في النفس الأخير.
- **الغريب:** (غاضبًا) أنت مراوغ صنديد، إناء لم يعد قابلا للجبر أو التقويم، سأذيع بصفتي رئيسًا للمنطقة قرارًا بتغيير الإعلان عند مدخل المدينة، وليكن.. (مفكرًا) صنااااعة وتدمير الإنسان..

أجل بهذه الطريقة لن يجد مُفتقدك خلية واحدة تصلح لبدء أو نشوء أو ارتقاء.

- **الشيخ:** تتحدث وتتصرف وكأنك تجهل كل شيء عنه، مع أنك كنت هناك في حضرته.
- **الغريب:** (مرتبكًا) أنا؟؟! هناااااك؟!
- **الشيخ:** رأته عيناك المتشامختان وهو يخلق، يُبدع أفكارًا عظيمة، يبني ويرتب بهمة ونشاط وحُب.. شاهدته وهو يأتي بالأشياء الغائبة لتكون وتتحرك وتوجد.. عاينتَ كل ذلك وتُدرك تمامًا أنه متى تنفس تخرج من فمه قوة للحياة.
- **الغريب:** (يصرخ غاضبًا) أيها المحققان! عودا إلى طاولة التحقيق لنصدر القرار النهائي في أمر هذا المارق المهرطق المجدّف.
- **الشيخ:** ورأيتك أنا أيضًا منزوع النياشين مقصوص الجناحين تهوي إلى أسفل في سرعة البرق وفي يدك قلم كحل ملتهب كأنه سهم من جحيم.
- **الغريب:** (يتحسس جيوب معطفه بارتباك) إذن، أنت هو الرائي نفسه قائد المملكة المنافسة!... أيها المحققان لقد حققنا إنجازًا عظيمًا، رأس الحيّة الحكيمة بعينه بين أيدينا.

(لا يتجاوبان معه أو يصدعان لأمره ويحافظان على جمودهما السابق).

- **الغريب:** ما بالكما متسمران ؟؟ امثلا الآن لأمري.. الدولة تنفق ملايين لكهربتكما.. حسنًا سأصدر قرارًا آخر جديدًا يخص جميع مواطني مملكتنا العظيمة وخاصة محققيها.. (بحركات بهلوانية) تبًا أين وضعت القلم ومفكرة الجيب ؟ (يدخل يده في أحد جيوب معطفه فيُخرج قلم الكحل) أووووف (يرجعه بخفة) حتى الأشياء والأغراض الصغيرة تقاومني.. اللعنة! حسنًا.. (وقد وجد القلم والمفكرة) اثبت أيها القلم في يدي.. (يشرع في الكتابة) ليكن في علم سائر مواطني مملكتنا السعيدة أنه تقرّر - بدءً من تاريخ صدور هذا الإعلان - تزويدكم بشحنات إضافية من الطاقة وسيول غامرة من المياه، ونتوقع منكم أيها الأوفياء إظهار اللطف والتعقّل من نحو كل الزوار وخاصة الغرباء.. (يفكر) آه.. لا تُغلق النوافذ والأبواب في وجوههم ولا تُسدل الأستار دونهم. يطأون رؤوسكم ويتوسّدون خدودكم مدّة إقامتهم فيكم.. تفعلون هذا ما شئنا من الزمن وأنتم طبعًا صامتون!.

(يتحرك دائمًا في الحيز المحدد له - خلف الشيخ - مفكرًا والقلم يرتعش بين أصابعه)... نعم.. عقوبة تليق بمن يجسر على الوقوف ضد قوانين مملكتنا أو يرفض البقاء تحت سلطانها.. (يفكر ثم يواصل الكتابة بحماس هذه المرّة)...

يُعهد للسلطات المختصة مُهمّة تحويل المتمردين والمرتزقة وكل راغب في تطوير عقلية هروب أو خروج من الشارع الرئيس إلى

دورات مياه تُفتح في وجه العموم بالتقويم الزحلي وتبقى على تلك الحال بدون ماء ولا كهرباء ولا أبواب... يُلحق هذا البند بالفصل المتعلق بقانون كراء وشراء ممتلكات المملكة السعيدة، ولا يُستثنى منه أحدٌ؛ حجرًا كان أو شجرًا أو بشرااااا!

(بحركاته البهلوانية يحفظ المذكرة داخل معطفه ثم ينشغل بافتقاد المحققين المتخشبين كمن يفحص آلات معطلة)...

(الشيخ في هدوء وثبات يقف ثم يتحرك إلى مقدمة الركح وقبل مغادرته يخاطب تقني الإنارة):

- **الشيخ:** من فضلك سيدي إذا سألك صاحب الغبطة والجلالة عن مكاني فأخبره أن يلحق بي عند مدخل المملكة السعيدة.. لا يمكنني الرحيل هذه المرة دون أن أختم البوابة النحاسية وأعتابها.. أقصد دون أن أجلس تحت الأبراج الحصينة و...

(يضع يده على بطنه ثم يخرج في عجلة)

(إظلام تدريجي..)

❁ ❁ ❁

النهاية

حسن شوّام

أبريل ٢٠١٣

نص مونودرامي من فصل واحد

(كرسي حديقة إسمنتي بين شجرتين شبه عاريتين، أوراق جافة مبثوثة هنا وهناك... هذا كل ما نراه على الخشبة... الإضاءة تُظهر لنا فقط هذا الحيّز البسيط.. العمق والجانبان مظلمان...

يدخل شاب على رأسه قبعة أو بيرية يتأبط ملفًا ورديًّا.. يظهر عليه بعض الارتباك..)

- أخيرًا وجدتُ مكانًا مناسبًا أختلي فيه بنفسي.. (يعاين الموقع في برهة قصيرة فتتغيّر ملامحه فجأة) لا.. لا.. المكان موحش يا ابن عمي يوحي بالنهايات.. أوراق خريفية صفراء وكرسي إسمنتي معدوم المِسْنَد، والأخطر من ذلك جلوسي بين شجرتين وحيدتين لا أثر لعناصر الحياة عليهما.. لا يمكنني البقاء هنا، جميع نُظم وقوانين الفشل تترصدني.. أنظر مثلاً إلى هاتين الشجرتين، حسب قواعد التصوير تتحولان إلى خطين عموديين وأي شخصية أو موضوع يتموقع بينهما يعزِّز فكرة الانضغاط من هموم الحياة والظروف الملتبسة المتشابكة! الآن، تأمّل الكرسي الذي ستُجري عليه مكالمتك الحاسمة.. الفراغ من خلفك والهوة العميقة كقبر مفتوح تنتظر فقط ارتدادك إلى الوراء لتزفك للسقوط.. ولأن الجوّ خريفي والتُربة صلبة مثل حجر الصّوان فلن تُهال عليك سوى هذه الأوراق الذاوية المرصّعة بفضلات الحشرات.. لا.. لا.. يا ابن عمي، تعقّل وغادر هذا المكان!

(يهمّ بالانصراف وقبل أن ينسحب يتوقف ثم يهرش شعر فوده القليل كمن تذكر شيئًا) يا لي من أخرق! كيف استسلمت لمثل هذه الأفكار السلبية ؟ يُقال إن اللون المكمل للوردي هو الأخضر الطبيعي. صحيح أن الأجواء مقفرة وجافة لكن من وجه ملفك الوردي ستشرق أزمنة الخضرة.. أي يا ابن عمي تشجع ولا تركن إلى إيحاءات غريبة.. الملف الوردي في يدك وجميع الشواهد التي حصلت عليها بالكدّ والسهر ستضمن لك كرسيًا في تلك الوظيفة.. اهدأ اهدأ فحسب.. الصمت مفتاح النجاح!.

(يأخذ نفسا عميقا ثم يغمض عينيه.. فترة صمت.. يفتحهما ويتجه ناحية الكرسي.. في تردد واضح يجلس ناظرًا في ريبة إلى الشجرتين العاريتين)

تلذذتَ يا أبي بالثمار وتركتني تحت أغصان مكشوطة لا تصنع الظلال.. فلترحمكِ السماء أماه! أكان ضروريًا أن تسقيه خمر العصيان ويشترك معكِ في نتائجه المريرة؟ حسنًا.. دعك يا رأسي من حرقة السؤال واسترح قليلاً تحت رحمة القبعة!

(يضع الملف جانبًا. لحظة صمت.. يتحقق الوقت من هاتفه الخلوي)

تُفتح أبواب المؤسسات العامة عادة قبل الساعة التاسعة صباحًا، لكن أمزجة الموظفين لا تكون مهيّأة لاستقبال المكالمات في الدقائق الأولى من شروعهم في العمل لذلك لا بأس من الانتظار

لبعض الوقت.. (يفكّر) لكن ماذا لو أُقفِلت لائحة التسجيل لإجراء المقابلة مع اللجنة بدعوى كفاية عدد المتصلين ؟ (باندهاش حاد) الكارثة لو تراكض المرشحون والمرشحات إلى مكاتب المؤسسة مباشرة في سباق محموم لوضع ملفاتهم! أووووه! يستحيل ذلك طبعًا فقد حدَّدوا شروطًا واضحة في الإعلان مذيّلة بتنبيه عريض: "المرجو عدم إيداع الطلبات والملفات بمكاتبنا قبل محادثتنا هاتفيًا.. فريق عمل متخصص جاهز لاستقبال مكالماتكم واستكمال عملية ترشحكم للوظيفة!"... (يُنهض نفسه بالتذكرة) لا مُبرّر لكل هاته الحسابات والمخاوف يا صاحبي، أنت شخص قلق ويجدر بك في مثل هذه المحطات الحاسمة أن تتحلى بالرزانة والتعقّل!.

(يقف ثم يتحرك جيئةً وذهابًا)

بالمناسبة عمن أخذتُ القلق ؟ (يتوسّط مقدمة الخشبة، يخلع قبعته كاشفًا عن مقدمة رأس اقتطع الصلع مساحة جانبيه.. يتحدث وهو يتأمل القبعة ويقلّبها بين يديه) يقينًا ورثته عن أبي كما ورثت عنه انحسار شعري ومعه هذه القبعة! والدي العزيز استباقي بامتياز.. التقط بأذنه المميّزة صدى حوافر العُري وهي تقترب من عتبة بيتنا فعالجه بآلة قاضية: ماكينة خياطة تستر عري الأبناء وتحفظ له هيبته كرب أسرة بعد التقاعد! (يضحك) ظُهر أول يوم أحيل فيه على المعاش لازم والدتي فيما كانت هي منشغلة بأعمال البيت،

كان يتابع حركاتها دون أن يهمس بأي ملاحظة أو تعليق.. وفجأة كشف لها خلاصة تقريره الاقتصادي... (يلعب الدورين معًا)

- نعيمة! (مستغرقًا في التفكير)
- نعم! (منهمكة بطيٍّ ملابس ونحوها)
- (سارحًا) الماكينة.. أجل الماكينة هي الحل!
- هل تعني ماكينة غسيل ؟ سنقتني ماكينة غسيل ؟ هل أنت جاد عزيزي؟
- نعيمة.. فكري بحكمة المرأة المدبرة الفاضلة.. ماكينة الخياطة أسبق وبها ستَحضُر أشياء غائبة في البيت للوجود.. الماكينة عزيزتي ستنتج لنا ملابس على مقاسنا وحسب ذوقنا وتربيتنا.. ماكينة الخياطة عزيزتي بقرة تلد ولا تُسقِط، صدقيني؛ بها ومن خلالها ستأتي آلة الغسيل وأشياء أخرى لم تحلمي بامتلاكها أصلاً.

(يضحك) والدتي ظنّته يفكر في إراحتها من جهد التصبين فإذا به يُضاعفه ببقرته الولّادة.. ولّادة ملابس! في الواقع كان ثورًا نشيطًا يُلقح ولا يُخفق.. أقنعنا جميعًا بالانضمام إلى هذه الشركة وتوحيد الجهود لإنجاح مشروعه الإنقاذي.. والدتي بجهد الخياطة وأختاي بتسويق البضاعة في صفوف الصديقات بينما أتكفل أنا بترويجها بين الأصدقاء.. والوالد طبعًا ينفرد بمهمة رسم خطوط ومسارات

متاهة تُرحب بدخولك دون أمل في الخروج.. (يضع القبعة على رأسه) لا أنكر طبعًا فضل فكرته الخلاقة علينا لكن حرصه الشديد على أمننا الاقتصادي نشّط براكين القلق في أحشائنا.. كان مصنعًا لإنتاج وتصدير القلق بامتياز.

(يقتعد كرسي الحديقة من جديد مقلدًا وصايا والده)

أنت ولدي البكر.. فرحة الدرب والدار.. أمك وأختاك تعوّلن عليك.. بعد وفاتي ستصبح راعيًا للأسرة.. وطبعًا لست بحاجة لأن أذكرك بمسؤوليات الراعي العظيمة! (يقف ثم يستكمل حديثه بنبرة تحريضية) أريدك صلبًا عنيدًا يقاوم الظروف.. مطرقة تحطم الصخور.. لا ترخي قبضتك.. احفر احفر ثم احفر.. إذا أقفل في وجهك باب أطرق بابًا آخر.. المهم ألا تكفَّ عن الطلب والطرق والنقر والحفر ثم الحفر والحفر...

(يسدّ أذنيه ويصرخ) كفى! كفى! كفى!

(يجثو على ركبتيه ويعتمد الكرسي الإسمنتي الذي يتحول في هذا المقطع إلى قبر.. موسيقى حزينة) الحفر والصبر.. الحفر والصبر.. (يرددها في يأس) رُحِمْتَ يا والدي قبل معاينة النكسة! ابنك البكر صار قرحة الأم فُرجة الحي والجار! هدرتَ وتمخّضتَ سنين عددًا فأنجبتَ أمهات؟ أجل يا أبي.. بالحقيقة كنتَ عظيمًا في تنظيرك.. الماكينة العجيبة لم يهدأ مدارها؛ وفي حركتها المستمرة طوّرت في رحم المنزل أمّين.. نعم كانتا أختين لكن بعد وفاة

زوجتك؛ أقصد أمي.. تحوّلتا إلى أمّين تتناوبان على الخياطة ليلاً ونهارًا.. أُغلِق باب لكن الله فتح بابين.. جفَّ ضرع لكن القدير بارك ضرعين.. ماكينتك أو بالأحرى فكرتك ولّادة ملابس.. ولّادة أمهات! طوباك يا أبي! ابنك الشريف البكر ما زال يستجدي مصروف الحمّام وتكاليف الحفر؛ عفوًا تكاليف التنقل بحثًا عن وظيفة.. أرَدْتَني "جوكير"، ورقة مسعودة تصلح لأي مكان شاغر فلم أتوقف عن التحصيل والحفر والنقر إلى أن كوّمتُ شواهد في جميع حقول المعرفة والتربية والتكوين.. اسمح لي والدي أن أوشي غبطتك بتعب يديك وعرق زوجتك وصبر بنتيك وحذاقة شبلك (يشير إلى نفسه في نخوة) أيها الأسد الجبّار! (يفتح الملف الوردي ويشرع في استعراض شواهده ثم يبسطها على الكرسي - القبر) يستحق قبرك أكثر من شاهد واحد للتدليل عليه... هاا(يضعها باهتمام وعناية) شواهد أكاديمية رسمية وأخرى ثانوية لتقلبات الزمن ونوائبه. أعدك يا والدي بممارسة هذا الطقس ساعة كل زيارة. ومن يدري؟ قد تتحوّل العادة مع التكرار والوقت تقليدًا تجد فيه العائلة بعض العزاء.. اطمئن يا والدي العزيز فالقلق الذي ورثته عنك ما برح يعمل فيّ ويفيض مشاريع إنقاذية لخير الأسرة.. دعني أسميه للانصاف: اهتمامًا واقعيًا منك بالأمور.. أجل.. هو كذلك «قلق طبيعي يدفع الإنسان للنجاح والاهتمام بعمله ومواعيده واللوائح والقوانين ويدفعه للتدقيق في تعاملاته »

(يستظهر هذا التعريف بطريقة مدرسية سريعة.. للجمهور) طُبع في ذاكرتي إبان دورة تدريبية في إدارة القلق وضبط النفس! دارت الماكينة ودُرتُ دور الأصدقاء لتأمين مصاريف دورة إدارة القلق وضبط النفس! طبعًا حصلتُ على الشهادة لكن القلق ظلَّ هنا وهنا وأيضًا هنا (يشير بسبّابته إلى معدته فصدره ثم رأسه) ولا يمكنني التخلص منه.. أعلم ذلك.. لكن أستطيع توجيهه كما أوصانا "الكوتش" بتقنية القرش الأبيض.. السباحة السباحة بدون توقف تحميك من الغرق في محيط القلق!(يسترسل في حديثه معتمدا الكرسي للوقوف..) لقد سبحتُ بما فيه الكفاية ودوّختُ معي جمهورنا الكريم (للجمهور) لي الثقة في كرمكم وسعة صدركم.. المكالمة التي سأجريها حاسمة وفاصلة وتحتاج تمرينًا خاصًا ودقيقًا لكلا الجهازين؛ الداخلي والخارجي...

(مرتبكًا) لا وقت لديّ الآن للدخول في التفاصيل.. أستميحكم عذرًا (يخرج هاتفه المحمول من جيب بنطلونه.. يسوي هندامه متأكدًا من عدم وجود طيات بملابسه محدثًا نفسه) "المرجو عدم إيداع الطلبات والملفات بمكاتبنا قبل محادثتنا هاتفيًا.. فريق عمل متخصص جاهز لاستقبال مكالماتكم واستكمال عملية ترشحكم للوظيفة!" الغربلة ستبدأ من الصوت إذن.. (يتنحنح) يجب أن أخترق المصفاة.. عندما يُفتح الخط سألتقط من أجواء المؤسسة المقياس والسلم المطلوب لأنزل بأحد المكاتب موظفا نُسِج وصُنِع

ليكون هناك في المكان المعيّن له.. المعيّن لي أنا قبل تأسيس المؤسسة.. (يغمض عينيه) جيد جدًا.. تعجبني هذه الثقة المبالغ فيها.. "كبّر خبزك ينباع!"

(ينظر إلى شاشة محموله.. يبحث في القائمة.. فترة صمت..) جيد.. هذا هو الرقم.. (يُفتح الخط بسرعة غير متوقعة.. يرتبك) أللووووو.. مُـ.. مؤسسة... (يُحرك شفتيه فقط دون إعلان اسم المؤسسة أو الشركة) أتصل بغرض استكمال عملية ترشحي للمنصب الشاغر بمؤسستكم (بتكلف واضح.. يعقد حاجبيه) عفوًا هل قلتُ شيئًا مضحكًا؟. (في استغراب وبصوت خفيض) يختبرون ربما رزانتي وثباتي في وجه الشهوات الشبابية التي تحارب النفس... (لا نسمع ضحكات الطرف الآخر لكن إيماءات الشاب تفصح عن ذلك) من فضلك آنستي.. أناا.. عفواا سيدتي.. حضرتكِ سيدة.. عذرًا.. ماذا ؟ مدام.. إذن أنت مدام.. الحمد لله.. آه.. آه.. فهمت أنت المدام.. حرم ؟ حرم المؤسسة ؟ آه.. آه.. آآآآه حرم مدير المؤسسة.. حسنًا سيدتي أنا أتصل بغرض الفوز بموافقة مبدئية لتقديم ملف ترشحي للمهمة المعلن عنها في الجريدة.. أنا رهن أي أسئلة تطرحونها عليّ باعتباركم الفريق المتخصص في عملية الفرز والتصفية أو العزل والتنقية.. أحيطكم علمًا.. أنني... (يُقفل الخط.. يضم أصابع قبضته بقوة ويعضها) أوووووف.. سأعاود الاتصال، المشكل من التغطية.. (ينظر إلى السماء) يا رب

في يوم غضبك أذكر رحمتك.. (يركّب الرقم من جديد.. بسرعة يفتح الخط) مرحبًا سيدتي؛ حرم السيد المدير.. (في اندهاش) لا لا من فضلك سيدتي أنا مرهف الحس ولا أستطيع سماع صوت النشيج والبكاء وبخاصة عبر خطوط الهاتف.. ماذا أنت في ورطة.. حرم المؤسسة؛ عفوًا حرم مدير المؤسسة في ورطة ؟ (يبعد الهاتف ويعلق) الحمد لله ما يجري على الجرذان يجري على الغزلان! (يعود للمكالمة) أرجوكِ سيدتي كفي عن البكاء.. ما المشكلة ؟ (ينصت إليها..) آه.. نعم.. آه.. فهمت.. (قليلاً قليلاً تذبل ملامحه) منذ دقائق فقط تم إلغاء الإعلان.. طيب.. أهنئك سيدتي بالمنصب.. لا لا.. طبعًا أنتما أولى.. زوجك يحتاج إليك لمواجهة عجز الميزانية وحضرتك تحتاجين للمنصب للتخلص من رهاب حفاظات الأطفال.. طيب.. طيب.. (يشرد لبرهة ثم يقفز من زعيق السيدة.. لا نسمع صوتها) أنا أفكر سيدتي في حل مناسب لهذه الورطة. (يفكر) آه.. عندي أخت مؤدبة جدًا جدا جاوزت الأربعين وفي إمكانها الاعتناء بتوأميك وبأجر زهيد.. ما رأيك ؟ (ينتظر) أي نعم اطمئني ظفائرها بيضاء كالعجوز الشمطاء.. (يبعد الهاتف عن أذنيه لغضب السيدة أو زعيقها) طيب.. طيب.. سأفكر في حل آخر.. (يعلق بصوت خفيض) خايفة عليه يوقع في وقارها! (يضحك ثم يشرق وجهه فجأة) سيدتي.. ينفع أغير حفاظات أطفالك ؟ بدل سبع مرات في اليوم.. سبعين مرة سبع مرات في

اليوم!(ينتظر بلهفة) موافقة ؟ ربنا يخليك يا مدام.. من بكرة أستلم الشغل.. أنا موافق.. آه ماشي.. تمام.. (يستمع) نعم عندي خبرة جامدة في تغيير الحفاظات.. ليس عندي فوبيا أبدًا.. من صغري والسما بتمطر علي نحاس.. يلزمني دبلوم ؟ قلت لحضرتك عندي شهادة من مدرسة الحياة الوردية (بامتعاض) ضروري ضروري تشوفي الشهادة (يشير إلى نفسه) الآن ؟ حاضر سيدتي دقائق وأكون بمكتبك.

(مزهوًا وبشكل استعراضي يرقص على أغنية la vie en rose لإيديت بياف تحديدًا.. تستمر الأغنية أو موسيقى هذه الأغنية الشهيرة حتى نهاية العرض.. يأخذ الشاب شواهده واحدة فواحدة ثم يثبتها على أغصان الشجرتين.. للممثل حرية استخدام القبعة والشهادة في رقص تعبيري وهو يقوم بعملية التثبيت.. بعد انتهائه من هذه العملية يحيي الجمهور بطريقة خاصة تعبيرًا عن الفرح.. يسوي هندامه قبل انسحابه تمامًا.. يتحقق الوقت من هاتفه الخلوي.. يترك الخشبة.. ترتفع موسيقى الأغنية أكثر.. إنارة وردية خافتة.. تهب ريح شديدة تعبث بأوراق الشجرتين وبالشواهد المعلّقة عليهما.. الملف الوردي المخلّف على الكرسي يسقط أرضا.. تدفعه الريح هنا وهناك.. موسيقى.. صوت هبوب الرياح.. حفيف أوراق...

إظـــلام تـــــــــــــــــــــــــام.

❁ ❁ ❁

النهاية

حسن شوتام

نونبر ٢٠١٣

المؤلف في سطور

- حسن شوتام
- قاص وكاتب مغربي، من مواليد ١٩٧٦م، إقليم الرشيدية، المملكة المغربية.
- أستاذ تعليم إبتدائي.
- نُشرت له العديد من الخواطر والقصص القصيرة منذ المرحلة الثانوية في جرائد محلية ووطنية وعربية بالإضافة إلى مواقع إلكترونية ثقافية أدبية وفكرية.
- مهتم بالمسرح تأليفًا وتشخيصًا وإخراجًا وخاصة مسرح الطفل.

- صدر له :

- السبت الحزين : قصص و خواطر . مطابع أمبريال، الرباط ٢٠٠١م.
- وما بلّ عرقي يباس الصغار : مجموعة قصصية رقمية. عن منشورات إتحاد كتاب الانترنيت المغاربة، ٢٠١٣م
- نافذة الإغاثة : مجموعة قصصية. مؤسسة يسطرون، القاهرة ٢٠١٤م
- خارج المبنى : مسرح. شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٥

- البريد الإلكتروني : choutamhassan@gmail.com

(+2) 01288890065 /(+2) 02 27238004

www.shams-group.net